من حكايات العرب

بِنْتُ ٱلْمَلِكِ وَٱلْحَطَّابُ

ثريا عبد البديع







- مَلِكٌ لَهُ قَرْنَانِ
- التَّاجِرُ «عُصْفُورٌ»
- الْوَصِيَّةُ الْعَجِيبَةُ
- أَبُو الْكُنَافَةِ
- الْفَقِيرُ وَالْبِئْرُ الْمَسْحُورَةُ
- بِنْتُ الْمَلِكِ وَالْحَطَّابِ
- سِرُّ جَرَّةِ التُّرَابِ
- سِرُّ الْخَرَزَةِ الزَّرْقَاءِ
- الزَّوْجَةُ الصَّابِرَةُ
- فَقِيرٌ فِي مَلَابِسِ الْوَزِيرِ

ISBN 9953-439-49-4



الطبعة الأولى 2003م ـ 1424 هـ


دار الكتب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع
محطة النويري ـ شارع عبد الغني العريسي ـ هاتف : 666700
فاكس : 00961/1/652052 ـ ص.ب : 5276 14 ـ بيروت ـ لبنان

ثريا عبد البديع



بِنْتُ الْمَلِكِ وَالْحَطابُ



في قَدِيمِ الزَّمَان، وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَان، كَانَ هُنَاكَ مَلِكٌ عَظِيمٌ، رَزَقَهُ الله بِثَلَاثِ بَنَاتٍ، اعْتَنَى بِهِنَّ، وَقَامَ عَلَى رِعَايَتِهِنَّ بِنَفْسِه، وَكَانَ الْمَلِكُ دَائِماً يُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَ مَكَانَتَهُ في قُلُوبِهِنَّ، فَكَانَ عِنْدَمَا يَأْتِي بِشَيْءٍ لَهُنَّ يَسْأَلُهُنَّ أَنْ يَصِفْنَ لَه حُبَّهُنَّ، فَتَقُولُ الابْنَةُ الْكُبْرَى:

ـ أَطَالَ الله بَقَاءَكَ يَا أَبِي! . . . إِنَّ حُبِّي لَكَ يَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ، وَلاَ يُقَدَّرُ بِثَمَن.

وَتَقُولُ الْوُسْطَى: أَدَامَ الله بَقَاءَكَ، وَأَمَدَّ لَنَا في عُمْرِك! . . . إِنَّ مَكَانَتَكَ عِنْدِي لاَ يُفْصِحُ عَنْهَا كَلاَمٌ.



الطبعـــــة الأولـــى
2003 م ـ 1424 هـ

ISBN: 9953-439-49-4

رسوم: مفيد الأشقر
تنفيذ: هوســـاك

دار الكتب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع
محطة النويري ـ شارع عبد الغني العريسي ـ هاتف: 666700
فاكس: 652052 1 00961 ـ ص. ب: 5276 14 ـ بيروت ـ لبنان

لَكِنَّ الابْنَةَ الصُّغْرَى مَا كَانَتْ تَقُولُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ قَطُّ، بَلْ كَانَتْ تَقُولُ لِأَبِيهَا: هُوَ مِنْ عِنْدِ الله.

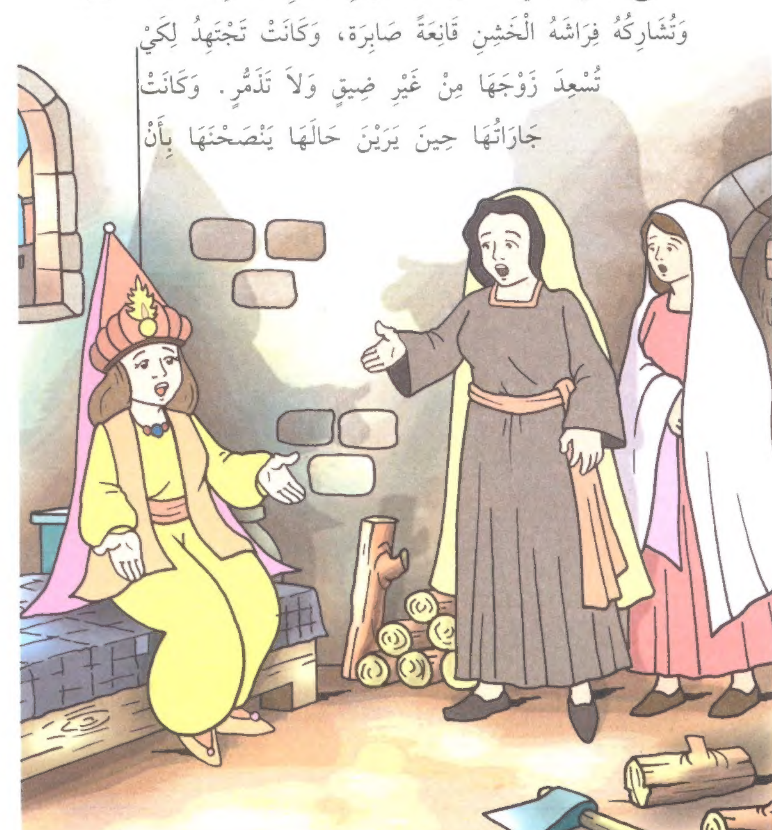
فَكَانَ أَبُوهَا يَغْضَبُ بِشِدَّةٍ وَيَظُنُّ أَنَّهَا أَقَلُّ حُبًّا لَهُ مِنْ أُخْتَيْهَا، وَوَصَلَ بِهِ الأَمْرُ أَنَّهُ كَانَ يُعَاقِبُهَا وَيَحْرِمُهَا مِنْ عَطَايَاه. وَكَانَتِ الأُخْتَانِ تَفْرَحَانِ بِذَلِك، وَتَصُدَّانِ نَفْسَ أَبِيهِمَا عَنْ أُخْتِهِمَا، فَيُوَزِّعَ عَطَايَاهُ عَلَيْهِمَا فَقَطْ.



وَفِي يَوْمٍ غَضِبَ الْمَلِكُ مِنَ ابْنَتِهِ الصُّغْرَى غَضَباً شَدِيداً، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهَا لِأَوَّلِ مَنْ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهَا، حَتَّى لَوْ كَانَ حَطَّاباً. وَبِالْفِعْلِ تَقَدَّمَ إِلَيْهَا أَحَدُ الحَطَّابِينَ، فَزَوَّجَهَا مِنْهُ بِدُونِ عُرْسٍ وَلاَ احْتِفَال، فِي حِينِ زَوَّجَ ابْنَتَيْهِ الأُخْرَيَيْنِ مِنْ وَزِيرَيْنِ مِنْ وُزَرَائِهِ، كَمَا احْتَفَلَ بِزَوَاجِهِمَا احْتِفَالاً كَبِيراً اسْتَمَرَّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، لاَ يَأْكُلُ فِيهَا أَحَدٌ وَلاَ يَشْرَبُ إِلاَّ مِنْ قَصْرِ الْمَلِك.



عَاشَتِ الابْنَةَ الصُّغْرَى رَاضِيَةً بِحَيَاتِهَا الجَدِيدَةِ مَعَ الْحَطَّاب، وَكَانَ مِمَّا يَزِيدُ غَضَبَ الْمَلِكِ أَنَّ ابْنَتَهُ هَذِهِ قَدْ رَضِيَتْ بِحَالِهَا، وَتَقَبَّلَتْ كُلَّ ذَلِكَ وَلَمْ تُعَارِضْهُ، وَكَانَ كُلُّ مَنْ يَرَى حَالَهَا لاَ يُصَدِّقُ أَنَّهَا بِنْتُ الْمَلِك، إِذْ سَكَنَتْ مَعَ زَوْجِهَا في حُجْرَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْحَطَبِ تُجَاوِرُ أَحَدَ الأَفْرَانِ، وَتُشَارِكُهُ فِرَاشَهُ الْخَشِنِ قَانِعَةً صَابِرَة، وَكَانَتْ تَجْتَهِدُ لِكَيْ تُسْعِدَ زَوْجَهَا مِنْ غَيْرِ ضِيقٍ وَلاَ تَذَمُّرٍ. وَكَانَتْ جَارَاتُهَا حِينَ يَرَيْنَ حَالَهَا يَنْصَحْنَهَا بِأَنْ



تُصْلِحَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَبِيهَا الْمَلِك، حَتَّى لاَ يَحْرِمَهَا مِنْ كَرَمِهِ وَمَالِهِ، فَكَانَتْ تَرُدُّ غَيْرَ شَاكِيَةٍ: «الحَمْدُ لِلَّهِ، هُوَ مِنْ عِنْدِ الله!».

مَرَّتِ الأَيَّامُ عَلَى الزَّوْجَة، وَإِذَا هِيَ حَامِلٌ ـ فَتَسْعَدُ بِذَلِكَ مِثْلَ كُلِّ الأُمَّهَاتِ ـ وَيَزِيدُ زَوْجُهَا مِنْ عَمَلِهِ وَجَهْدِهِ لِيَأْتِيَ لَهَا بِمَا يَنْفَعُهَا مِنْ طَعَامٍ يُسَاعِدُهَا عَلَى تَحَمُّلِ مَشَاقِّ الْحَمْل... وَمَرَّتِ الشُّهُورُ حَتَّى جَاءَ

أَوَانُ وَضْعِهَا، فَهَيَّأَ لَهَا زَوْجُهَا فِرَاشاً بَسِيطاً وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا وَانْتَظَرَ، وَهِيَ وَحْدَهَا، لاَ جَارَةٌ وَلاَ أُخْتٌ تُعِينُهَا.

وَهُنَا ظَهَرَتْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، دَخَلْنَ إِلَيْهَا، يَحْمِلْنَ أَجْمَلَ الْمَلاَبِسِ لِلْمَوْلُودِ وَلَهَا، ثُمَّ غَسَلْنَ الطِّفْلَ وَعَطَّرْنَهُ، وَأَلْبَسْنَهُ مَلاَبِسَهُ الْجَمِيلَةَ، كَمَا أَلْبَسْنَ أُمَّهُ.

شَكَرَتِ الزَّوْجَةُ السَّيِّدَاتِ الْكَرِيمَاتِ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ:

ـ «لاَ تَشْكُرِينَا، هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ!».



ذَهَبَتِ السَّيِّدَاتُ وَهُنَّ سَعِيدَاتٌ يَضْحَكْنَ، وَسَعَدَ الْحَطَّابُ بِوَلَدِهِ، وَسَلاَمَةِ زَوْجَتِهِ.

عَاشَتِ الزَّوْجَةُ صَابِرَةً رَاضِيَةً، تُرَبِّي وَلَدَهَا وَتَرْعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَ لَهُمَا الزَّوْجُ فِي نِهَايَةِ الْيَوْمِ بِطَعَامٍ بَسِيطٍ يَسُدَّا بِهِ جُوعَهُمَا.

وَتَمُرُّ الأَيَّامُ وَالشُّهُورُ وَتَحْمِلُ الزَّوْجَةُ حَمْلَهَا الثَّانِي، وَحَمِدَتْ رَبَّهَا، وَدَعَتْهُ أَنْ يَرْزُقَ زَوجَهَا، وَيُيَسِّرَ حَمْلَهَا وَوَضْعَهَا.

مَرَّتِ أيامُ الحَمْلِ بِخَيْرٍ وَسَلاَم، حَتَّى جَاءَ يَوْمُ الْوَضْعِ، فَانْشَقَّتْ



أَرْضُ الْحُجْرَةِ عَنِ النِّسْوَةِ الأَرْبَعِ، وَلَمَّا اقْتَرَبْنَ مِنْهَا عَرَفَتْهُنَّ، فَأَلْبَسْنَهَا هِيَ وَصَغِيرَتَهَا أَجْمَلَ الثِّيَابِ، وَقُمْنَ عَلَى رِعَايَتِهَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَهَا حَتَّى أَطْعَمْنَهَا، كَمَا تَرَكْنَ عِنْدَهَا الْكَثِيرَ مِنْ أَطَايِبِ الطَّعَامِ.

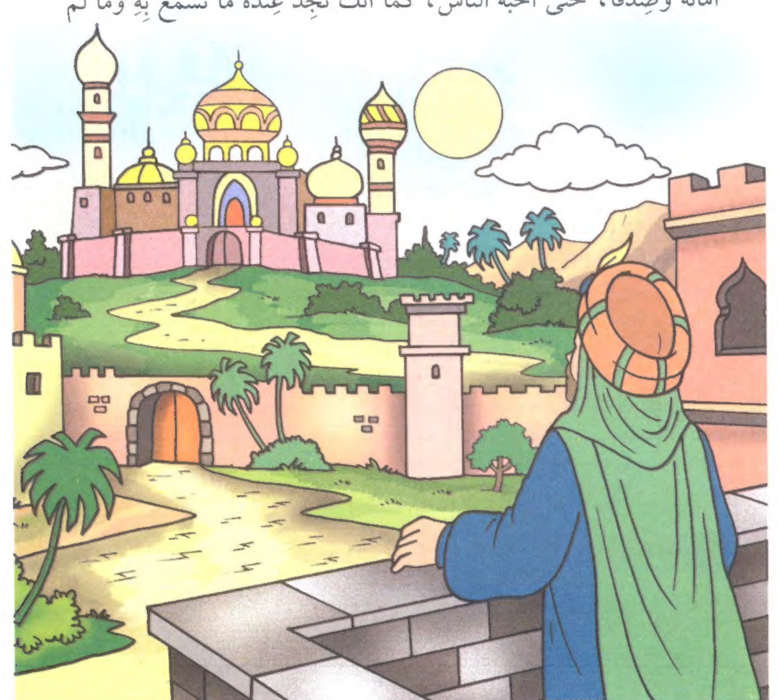
وَمَا إِنْ ذَهَبَتِ النِّسْوَةُ حَتَّى ظَهَرَ مَكَانَهُنَّ مَارِدٌ، اقْتَرَبَ الْمَارِدُ مِنَ الزَّوْجَةِ وَقَالَ: أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ الطَّيِّبَةُ الصَّابِرَةُ، اطْلُبِي مَا تُرِيدِينَ تَنَالِي مَا تَطْلُبِينَ فِي التَّوِّ وَالآنَ.

طَلَبَتِ الزَّوْجَةُ أَنْ يَبْنِيَ لَهَا قَصْراً مُنِيفاً مُقَابِلاً لِقَصْرِ وَالِدِهَا، فَقَدِ اشْتَاقَتْ لِرُؤْيَتِهِ، كَمَا طَلَبَتْ لِزَوْجِهَا تِجَارَةً وَاسِعَةً بِأَحَدِ الأَسْوَاقِ الْكَبِيرَةِ.

وَفِي الْحَالِ تَحَقَّقَ لَهَا مَا أَرَادَتْ، وَوَجَدَتْ نَفْسَهَا هِيَ وَأُسْرَتَهَا فِي قَصْرٍ

جَمِيلٍ، أَجْمَلَ بِكَثِيرٍ مِنْ قَصْرِ أَبِيهَا الْمَلِكِ، وَيَعْلُوهُ فِي الْعَظَمَةِ وَالأُبَّهَةِ، بِنُقُوشِهِ الرَّائِعَةِ، وَأَعْمِدَتِهِ الْمَرْمَرِيَّةِ الْمُرَصَّعَةِ بِالنَّادِرِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَاللَّآلِىءِ.

وَفِي يَوْمٍ أَطَلَّ الْمَلِكُ مِنْ شُرْفَةِ قَصْرِهِ، فَرَأَى ذَلِكَ الْقَصْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي نَهَضَ تِجَاهَهُ، وَأَخْبَرَهُ الْخَدَمُ أَنَّهُ لِكَبِيرِ التُّجَّارِ ـ إِذْ كَانَ الْحَطَّابُ سَاعَتَهَا قَدْ ذَاعَ صِيتُهُ، وَانْتَشَرَ خَبَرُهُ فِي الْبِلَادِ بِأَنَّهُ أَمْهَرُ التُّجَّارِ، وَأَكْثَرُهُم أَمَانَةً وَصِدْقاً، حَتَّى أَحَبَّهُ النَّاسُ، كَمَا أَنَّكَ تَجِدُ عِنْدَهُ مَا تَسْمَعُ بِهِ وَمَا لَمْ



تَسْمَعْ مِنْ بَضَائِعَ قَيِّمَةٍ وَنَادِرَة، فَصَارَ النَّاسُ يَتَوَافَدُونَ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْب.

رَغِبَ الْمَلِكُ في التَّعَرُّفِ إِلَى جَارِهِ التَّاجِر، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَطْلُبُهُ، فَزَارَهُ التَّاجِرُ زَوْجُ ابْنَتِه... فَرَآهُ الْمَلِكُ جَاراً مَلِيحَ الْعِشْرَةِ، حُلْوَ الْكَلَام، وَمَا هِيَ إِلاَّ أَيَّامٌ حَتَّى تَوَطَّدَتِ الْعَلاَقَةُ بَيْنَ الْمَلِكِ وَصِهْرِه، وَهُوَ لاَ يَعْرِفُ أَنَّهُ زَوْجُ ابْنَتِهِ الْحَطَّاب.

وَفِي يَوْمٍ رَأَتِ الزَّوْجَةُ أَنَّهُ قَدْ آنَ الأَوَانُ لِأَبِيهَا

لِيَعرِفَ مَكَانَهَا، وَمَا آلَ إِلَيْهِ حَالُهَا، وَيَرَى حَفِيدَيْهِ فَطَلَبَتْ مِنْ زَوْجِهَا أَنْ يَدْعُوَ أَبَاهَا إِلَى الْقَصْرِ، وَأَمَرَتِ الْخَدَمَ أَنْ يُعِدُّوا لَهُ وَلِيمَةً كَبِيرَةً بِهَا كَثِيرٌ مِنْ أَطَايِبِ الطَّعَام، لِلْمَلِكِ وَحَاشِيَتِه، ثُمَّ قَامَتْ بِنَفْسِهَا بِإِعْدَادِ نَوْعٍ يُحِبُّهُ أَبُوهَا، وَكَانَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ مِنْ صُنْعِ يَدَيْهَا.

وَلَمَّا جَلَسَ الْمَلِكُ إِلَى الْمَائِدَةِ انْتَبَهَ إِلَى نَوْعِ الطَّعَامِ الَّذِي يُحِبُّهُ، فَأَعْجَبَهُ طَعْمُهُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ كُلِّه. عِنْدَئِذٍ تَذَكَّرَ ابْنَتَهُ، وَشَعَرَ بِحَسْرَةٍ وَنَدَم، وَذَكَرَهَا بَيْنَ الْحَاضِرِينَ بِكُلِّ الْخَيْرِ، وَبِأَنَّهُ قَدْ ظَلَمَهَا وَتَخَلَّى عَنْهَا، ثُمَّ قَال: آهٍ لَوْ وَجَدْتُهَا!

سَمِعَ الزَّوْجُ وَلَمْ يَتَكَلَّم.



وَهُنَا جَاءَ الْحَفِيدَانِ لِيُسَلِّمَا عَلَى الْمَلِكِ، فَأُعْجِبَ الْمَلِكُ بِجَمَالِهِمَا الْبَاهِرِ، ثُمَّ قَالَ لِلْبِنْتِ بَعْدَمَا قَبَّلَهَا: مِنْ أَيْنَ لَكِ كُلُّ هَذَا الْجَمَالِ وَالْبَهَاءِ؟!

فَقَالَتِ الصَّبِيَّةُ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ!

شَعَرَ الْمَلِكُ بِحَنِينٍ شَدِيدٍ إِلَى ابْنَتِهِ حِينَمَا سَمِعَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ ثُمَّ الْتَفَتَ الْمَلِكُ مُتَعَجِّباً، وَسَأَلَ التَّاجِرَ:

ـ مَنْ أَنْتَ بِحَقِّ اللهِ؟



وَهُنَا ظَهَرَت ابْنَتُهُ أَمَامَهُ، فَأَسْرَعَ أَبُوهَا إِلَيْهَا فَاتِحاً ذِرَاعَيْهِ مُعْتَذِراً عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ نَحْوَهَا، وَصَارَ يُقَبِّلُهَا، وَيَضُمُّ حَفِيدَيْهِ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ لَهَا: كُنْتُ أَشْعُرُ أَنَّنِي سَوْفَ أَجِدُكِ يَوْماً... وَأَعْلَنَ الْمَلِكُ ذَلِكَ الْخَبَرَ السَّعِيدَ فِي الْبِلَادِ.



